

رياض الصالحين

شرح حديث إِيَّاس بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - "لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ" وَحْدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - "الذُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرٌ مَتَاعُهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحةُ"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمما أورده المصنف سرحمه الله - في باب الوصية بالنساء: حديث إِيَّاس بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذِيَّا بْنِ الدُّوْسِيِّ وَقِيلَ لِمُزْنِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ فجاءَ عَمْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: ذَئْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بَآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ أَطَافَ بَآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخَيَارِكُمْ))^(١) والإماء: جمع أمة، والمقصود بها المرأة، كما يقال للرجل: يا عبد الله، فالمرأة يقال لها: يا أمة الله، يعني: يا عبد الله.

قال: ((لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ))، فجاءَ عَمْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: ذَئْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ بِمَعْنَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَهَى عَنْ ضَرْبِهِنَّ تَرَفَّعَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَحَصَلَ مِنْ بَعْضِهِنَّ نُشُوزٌ وَخَرُوجٌ عَنْ طَاعَةِ الْأَزْوَاجِ؛ لِأَنَّهُنَّ قَدْ أَمْنَى الْعَوْقَبَةَ، ذَئْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، يَعْنِي: ثَانِيَةً، فَأَطَافَ بَآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِضَرْبِهِنَّ، فَجَاءَ هُؤُلَاءِ بِأَزْوَاجِهِنَّ، حِينَمَا رَخَّصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِضَرْبِهِنَّ، فَجَاءَ هُؤُلَاءِ النِّسَوَةِ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ يَعْنِي: مِنَ الضرَبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ أَطَافَ بَآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخَيَارِكُمْ))^(٢)، بِمَعْنَى: أَنَّ الْأَكْمَلَ فِي حَقِّ الرَّجُلِ أَنْ تَكُونَ مَعَاشَرَتِهِ عَلَى أَحْسَنِ الْوِجْهِ، وَأَنْ يَكُونَ لَطِيفَ الْمَعَاشَةِ، وَحَسْنَ الْخَلْقِ، أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي يَضْرِبُ النِّسَاءَ وَيَتَأذِى مِنْهُ مِنْ يَعَاشُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِالْكَمَالِ، وَلَهُذَا جَاءَ عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - فِي صَفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَمَائِلِهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا ضَرَبَ بِيَدِهِ لَا امْرَأَ وَلَا خَادِمًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَعْنِي: يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ^(٣).

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ هَدِيهِ أَكْمَلُ الْهَدِيَّ، وَلَكِنَّهُ يَرْخَصُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَضْرِبَ الْمَرْأَةَ إِذَا تَعْذَرَ تَأْدِيبَهَا بِالْوَعْظِ ثُمَّ بِالْهَجْرِ، فَعِنْدَئِذٍ يَلْجَأُ إِلَى الضَّرَبِ بِالضَّوَابِطِ الَّتِي نَكَرْنَا هَا فِيمَا سَبَقَ، وَلَكِنَّ تَرْكَ ذَلِكَ أَكْمَلَ

^١ - أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء (٢٤٥/٢)، رقم: (٢١٤٦)، وصححه الألباني، في صحيح أبي داود، (١٨٦٣).

^٢ - أخرجه أحمد في مسنده (٤٣/١٠٩)، (٢٥٩٥٦)، وصححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، (٣٣/٢)، (٥٠٧)، عن عائشة رضي الله عنها - بلفظ: (ما ضرب صلبي الله عليه وسلم - بيده خادمًا قط ولا امرأ، ولا ضرب رسول الله صلبي الله عليه وسلم - بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله).

وأولى، والرجل الكريم لا يتقوى ويظهر قوة وفتواه ويرفع يده على من لا يستطيع أن يرد يده، ولا يظلم من لا يستطيع أن يرد مظلمته، فإن هذا لا يليق، وليس ذلك من فعل الكرام.

ال الحديث الآخر هو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما -أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: ((الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة))^(٣) رواه مسلم، وهذا هو الحديث الأخير في هذا الباب.

((الدنيا متاع)) والمتاع: هو الشيء الذي يحصل الاسترواح به، والنعم به، والانتفاع به وقتاً محدوداً ثم بعد ذلك يزول، والله عز وجل - وصف الدنيا بهذه الأوصاف، {بِإِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ} [غافر: ٣٩]، ووصفها بأنها زينة ولهم يتفاخر فيها المتفاخرون ثم عما قريب تتلاشى وتذهب، وتبقى أعمال الناس وما كانوا عليه من صلاح أو فساد، وأما متاعها فإنه يذهب، سواء كان الإنسان يعمل الصالحات، يتمتع بالمباحات، أو يعمل الأمور السيئة.

تُقْنَى لِلَّذَادَةِ مَنْ نَالَ صَفْوَتَهَا * * *
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءِ مَغْبَتِهَا * * *

فما يأكله الإنسان في هذه الحياة من الطيبات هو متاع، وما يلبسه ويتنعم به من المراكب والمساكن كل ذلك متاع، فيأخذ الإنسان حاجته من هذا من حل، ولا يأخذ ما لا يحل له، ولا يظلم الناس، ولا يغير بما في هذه الحياة الدنيا من البهرج والزينة، فإن ذلك عما قريب يزول.

قال: ((وخير متاعها المرأة الصالحة))، والمقصود بذلك كما جاء مفسراً في الحديث الآخر، وذلك أن المرأة الصالحة هي التي إذا نظر إليها سرتها، وإذا أمرها أطاعته، وإذا تركها حفظته في نفسها وماليه^(٤).

فهذه هي أفضل متاع الدنيا، التي تكون بهذه المثابة، لكن المرأة التي تكون سيئة الخلق -مهما كانت جميلة-، أو قليلة الدين لا يأمنها من أن تضيع عرضه، أو أن تقصد ماله، فإنه يتذمّر بمعاشرتها ومقاربتها، أما إذا وجدت المرأة بهذه الأوصاف من الأخلاق الفاضلة، والرأي الحسن، والديانة، والحفظ والصيانة، وحسن الرعاية في ماله وولده، فهذا هو الكمال، فإن لم يتيسر ذلك بأجمعه فهناك أمور يمكن أن يتنازل عنها، كالحسن والجمال؛ لأن ذلك مما يتلاشى ويزول، وأما الأخلاق والدين والصلاح والاستقامة والعفاف فإن هذه هي الأمور الراسخة التي في حالة عدم وجودها قد تضيّع الإنسان، وتذهب بشرفه وعرضه، والله المستعان.

فأسأل الله عز وجل -أن يصلح أعمالنا وأحوالنا وأخلاقنا، وأن يجعلنا وإياكم من يستمع القول فيتبع أحسنها،

وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.

^٣ - أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، (١٠٩٠ / ٢)، برقم: (١٤٦٧).

^٤ - انظر: الظرف والظرفاء (ص: ٥٥).

^٥ - المعجم الأوسط (٣٢٥ / ٢)، رقم: (٢١١٥).